تسليم

مجلة فصلية محكمة

مختصة بعلوم اللغة العربية وآدابها

تصدر عن

العتبة العباسية المقدسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

السنة الاولى المجلد الثاني العددان الثالث والرابع

ربيع الثاني ١٤٣٩هـ . كانون الاول ٢٠١٧م

الترقيم الدولي
ردمد:2413-9173
ردمد الالكتروني:2521-3954
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية 2193 لسنة 2016 م
كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

Tel: +964 032 310059 **Mobile:** +964 771 948 7257
http: //tasleem.alkafeel.net
Email: tasleem@alameedcenter.iq

"في التسليم للعترة الأطهار"

قراءةٌ مَنْهَجيّةٌ في التراث التفسيري عند الإمام علي الهادي عليه السلام

A Systematic Reading of Interpretive Heritage of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him)

أ. م. د. مرتضى عبد النبي الشاوي
العراق/ جامعة البصرة / كلية التربية
في القرنة / قسم اللغة العربية

Assist. Prof. Dr. Murtada Abdul Nabi Al-Shawi
Iraq / Basra University / Faculty of Education in Qurna / Department of Arabic Language

murtathaalshawi@yahoo.com

تاريخ التسليم: ١/ ٩/ ٢٠١٧
تاريخ القبول: ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٧

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص

يحاول هذا البحث الموسوم (قِراءةٌ مَنْهَجيَّةٌ في التراث التفسيري عند الإمام علي الهادي عليه السلام أن يسلط الضوء على تفسير القرآن عند الإمام علي الهادي عليه السلام وبيان جهده في ذلك ، وكشف معاني الآيات القرآنية ومقاصدها باستخدام الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن، بوصف التفسير كشفاً عن الإبهام في النص القرآني، وإيضاح مقاصده ، والمراد الاستعمالي من آياته، وقد أفرد البحث ملامح التفسير بحسب ما روي عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في نظرة أكاديمية معاصرة .

Abstract

This research, titled "A Systematic Reading of Interpretive Heritage of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him) attempts to shed light on the interpretation of the Qur'aan by Imam Ali Al-Hadi (peace be upon him) , to explain his efforts in this regard and to uncover the meanings of Quranic verses and purposes. (Interpretation of the meaning) in the Qur'anic text, its purpose, and the intended use of its verses. The research manipulates the features of the interpretation according to the narration of Imam Ali bin Muhammad al-Hadi (peace be upon him) in a contemporary academic view.

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود / ١

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم الأنبياء وسيد الرُسُل والأصفياء أبي القاسم محمد ، وعلى آله الميامين النجباء (صلوات الله عليهم أجمعين) ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

توطئة

ملامح من سيرة المعصومين عليهم السلام

إنّ النظرة الأكاديمية في تراث أهل البيت عليهم السلام هي محاولة جادّة في إعادة صياغة فنية وموضوعية تشتمل على مستويات القراءات المنهجية المعاصرة لهذا التراث، وهي نظرة معمّقة لتلك الجوانب التفسيرية التي حرص عليها أئمتنا عليهم السلام في إيصالها إلى الأجيال ، وقد احتضنتها المصادر القديمة من كتب تفسير وحديث وتاريخ وغيرها ، وهي بين أيدينا دليل فعّال للتواصل الحيوي ، والتمسك برؤى ومعالم الفكر العلمي في النظرة إلى النص القرآني بوصفه النص المقدس الذي يتمسك به كلّ الدارسين والباحثين .

وعلى الرغم من قلة الأحاديث التي تروي رؤيتهم التفسيرية عليهم السلام قياساً لكتب التفسير التي أنتجها العقل الإسلامي قديماً وحديثاً إلا أنّ ما نقل عنهم في كتب الأحاديث والتفاسير يكفي أن تكون ملامح للمناهج الذي اشتغل عليها الأئمة عليهم السلام في تفسير النص القرآني ، وأرادوا أن تصل إلى المؤمنين كافة بصورة موضوعية

تتوافق مع العقل الذي يستوعبها قديماً وحديثاً ، وتمثل الأسس التي تتأطر بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام القرآنية في تجلياتها المتنوعة .

فضلاً عن ذلك أنّ أهل البيت عليهم السلام هم ورثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأنبياء عليهم السلام أجمعين، وقد استعملوا مختلف الأسس الموضوعية والمنهجية في تفسير القرآن كما نعرفها في يومنا المعاصر؛ بما ينسجم مع الذوق والعقل والمنطق في كلّ زمان ، وكانت آراؤهم هي أنفاسهم وأخلاقياتهم وتصوراتهم نابعة من علوم جمّة فطرية كانت أو مكتسبة فهم الورثة الحقيقيون للعلوم الإلهية المتنوعة (صلوات الله عليهم أجمعين) بلا شك.

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في توصيفه منزلتهم ومكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إنّا – أهل البيت عليهم السلام – شجرة النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبيت الرحمة ، ومعدن العلم))[1] .

فكان خير تطبيق لهذه الدراسة ما آثر عن الأمام علي الهادي عليه السلام، إذ كان الاختيار ؛ بما ينسجم مع محاور الدراسة الموضوعية في ترسيخ دوره في تفسير القرآن الكريم، فضلاً عن ذلك؛ لما آثر عنه من أحاديث تنقل آرؤاه التفسيرية وأبعاده العقائدية التي تنهل من عطر النبوة المحمدية ، وتتوشح بألوان الإمامة النورانية .

فعن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام إذ قال : ((ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام من بعده [2] ، وكذلك ما روي عنه في قوله عليه السلام : ((إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان وحدثانه ، ...))[3].

وكلّ ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام من أحاديث تتضمن مآثرهم في التفسير يعدُّ من أهمّ مفاتيح معرفة القرآن الكريم.

ولأهل البيت عليهم السلام منهج خاص ومعروف في تفسير القرآن الكريم، يفهمه كل من مارس كلماتهم وأحاديثهم في تفسير القرآن، والخطوط الرئيسية لهذا المنهج تتمثل في تفسير القرآن بالقرآن، وتنزيه الخالق عن التجسيم والوصف والرؤية، وتنزيه الأنبياء عليهم السلام عن المعاصي، وقولهم بسلامة الكتاب الكريم من التحريف، هذا مضافا إلى جملة عقائدهم المعروفة في كتب الكلام والعقائد، وكل ما يخالف هذا المنهج فالأئمة عليهم السلام منه براء.

يهدف البحث هذا إلى تسليط الضوء على المناهج التفسيرية عند الإمام علي الهادي عليه السلام بوصفها الخطوط الرئيسة في تفسير القرآن ، وتمثل تلك الخطوط ملامح ومناهج أهل البيت عليهم السلام في التفسير في ضوء التصورات القرآنية .

وقد ضمّت هذه الدراسة تفسير القرآن عند الإمام علي الهادي عليه السلام وبيان جهده في ذلك وكشف معاني الآيات القرآنية ومقاصدها باستخدام الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن، بوصف التفسير كشفاً عن الإبهام في النص القرآني، وإيضاح مقاصده، والمراد الاستعمالي من آياته[٤] .

وقد أفرد البحث تلك القراءات بحسب ما روي عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في نظرة أكاديمية معاصرة.

وعلى الرغم من قلة النصوص التي تروي نظرة الأئمة إلى تفسير القرآن إلا أنّها تحتوي على رؤية موضوعية ومنهجية ، تقترب من المناهج الحديثة في النظر إلى الخطاب القرآني ، وقد كانت تلك الرؤية مبطنة في ضمن تفسيراتهم الجليلة ((فهم

الخلفاء الحقيقيون لصاحب الرسالة وأدرى الناس بتفسيره ومعرفة أسراره وأعلم بعمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه))[٥]، وخير ما يتضمن هذا البحث التراث التفسيري الذي ورد في مرويات مختلفة صادرة عن الإمام عليه السلام.

لقد كان الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام أحد أعلام أئمة الهدى الyثني عشر، فهو الإمام العاشر في سلسلة أهل البيت عليهم السلام، وقد ذكره المؤرخون وأرباب السير بوصفه علماً بارزاً من أعلام عصره في العلم والمعرفة، وفي التقوى والعبادة، وفي الوجاهة والقيادة والريادة.

تقلّد الإمامة وهو في أوائل السنة التاسعة من عمره، فتصدر يومها مجالس الفتوى بين أجلاَّء العصر ومشايخ الفقهاء، وبهر العقول بعلمه وفضله، ثم حمل أعباءها طيلة ثلاث وثلاثين سنة في عصر ظلم وغشم ونفاق، أخذ منه ومن شيعته بالخناق، ولكنه استمر على أدب الله (عزَّ وجلَّ)، وسيرة رسوله صلى الله عليه وآله ونهج آبائه عليهم السلام لا يمالئ حاكم، ولا يهادن ظالم، بل يقوم بما انتدب إليه، في قصر السلطان، ومجالس الحكم، وبين الأمراء، وفي كل مكان، يعيش صراحة الدِّين، ويجانب الباطل بجرأة لا يكون لها نظير إلاَّ عند المنتجب من الله تعالى للولاية على الناس. منسجماً مع أمر السماء التي استسفرتهُ لكلمته، وقائماً بقسط الوظيفة التي خلعت عليه سربال ولايته، مثبتاً أنه على مستوى ذلك الأمر في ذلك العصر، تماماً كالسفير الذي لا يخرج عن خط دولته، ويدل صدقُه مع وظيفته على حفظ كرامة الدولة التي سنحت عليه بما وضعته بين يديه من إمكانيات، ليستطيع تمثيلها حقاً وحقيقة.

ولم يعش إمامنا الهادي عليه السلام عمراً طويلا، ولكنه قضاه حافلاً بجلائل الأعمال والأقوال، وبما أتى من الحق في مجالس أهل الباطل، وبما كرّس من العدل في مواطن الظلم، وبما أرسى من الإيمان ورسّخ من العقيدة التي ينبغي أن يُدان الله تعالى به، فزاد أتباعه زيادة ملموسة حتى أنه كان يعج بهم قصر الخلافة سراً وظاهر، وكانوا ينتشرون في الجيش بين قوّاده وأفراده، مضافاً إلى كثيرين من أفراد الرعية والولاة.

وقد كان الإمام الهادي عليه السلام إذا تكلم نطق بالصواب فأسكت المماليين من مشايخ الفقهاء وقضاء البلاط، وأهل الوصول من الوزراء والأمراء وسائر الملتقين حول معتلف السلطان، وإذا ظهر للناس في الشارع أو في ردهات القصر وصالاته تقوقع المتعالون وانكفأوا على ذواتهم، وذاب أعداؤه ومناوؤه في لظى حقدهم وحسراتهم، وإذا حضر مجالسهم أحلّوه الصَّدر وانتهى إليه الأمر، وكان فيما بينهم السيد (المفدى) بالنفوس والأهل، وإذا غاب عنهم صرّوا بأنيابهم حنقاً وعضّوا الأنامل من الغيظ.

لقد كان الإمام الهادي عليه السلام على جانب كبير من العظمة التي لم تَخْفَ على أهل زمانه أصحاباً وأعداءً، وبرهن على أنه فرعٌ زكيٌّ من الشجرة المباركة التي خلَّد ذكرها القرآن الكريم.

فهو سلام الله عليه من دوحة العُلى في أعلاه، ومن سدرة المنتهى في منتهاه، وقد أجمع معاصروه على علمه الوافر، وفضله الظاهر، وحكمته البالغة، وسكينته ووقاره، وحلمه وهيبته، فأجَلَّوْه مختارين ومرغمين وانتهوا إلى حكمه في كل مسألة عوصاء، وعملوا بفتواه في كل قضية عجز عن الإفتاء فيها الفقهاء، وكانوا كلّما أستَبْهم عليهم أمر دعوه إليه، صلوات الله وسلامه عليه.

قد تقلّد عليه السلام منصب الإمامة الإلهي بعد أبيه في أوائل التاسعة من عمره الشريف فكان مثالاً آخر للإمامة المبكّرة التي أصبحت أوضح دليل على أحقّية خط أهل البيت عليهم السلام الرسالي في دعوى الوصية والزعامة الدينية والدنيوية للامة الإسلامية خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونيابة عنه في كل مناصبه القيادية والرسالية.

وتنقسم حياة هذا الإمام العظيم إلى حقبتين متميّزتين: أمضى الأولى منهما مع أبيه الجواد عليه السلام وهي أقلّ من عقد واحد. بينما أمضى الثانية وهي تزيد عن ثلاثة عقود، عاصر خلالها ستة من ملوك الدولة العباسية وهم: المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز واستشهد في ايام حكم المعتز عن عمر يناهز أربعة عقود وسنتين. وقد عانى من ظلم العباسيين كما عانى آباؤه الكرام حيث أحكموا قبضتهم على الحكم واتخذوا كل وسيلة لإقصاء أهل بيت النبي (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وإبعادهم عن الساحة السياسية والدينية، وإن كلّفهم ذلك تصفيتهم جسديّاً كما فعل الرشيد مع الإمام الكاظم عليه السلام، والمأمون مع الإمام الرضا عليه السلام، والمعتصم مع الإمام الجواد عليه السلام.

وتميّز عصر الإمام الهادي عليه السلام بقربه من عصر الغيبة المرتقب، فكان عليه أن يهيّئ الجماعة الصالحة لاستقبال هذا العصر الجديد الذي لم يُعهد من قبل حيث لم يمارس الشيعة حياتهم إلاّ في ظل الارتباط المباشر بالأئمة المعصومين خلال قرنين من الزمن. ومن هنا كان دور الإمام الهادي عليه السلام في هذا المجال مهمّاً وتأسيسيّاً وصعباً بالرغم من كل التصريحات التي كانت تتداول بين المسلمين عامة وبين شيعة أهل البيت خاصة حول غيبة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام أي المهدي المنتظر عجل الله فرجه الذي وعد الله به الأُمم.

وبالرغم من العزلة التي كانت قد فرضتها السلطة العباسية على هذا الإمام حيث أحكمت الرقابة عليه في عاصمتها سامراء، ولكن الإمام عليه السلام كان يمارس دوره المطلوب ونشاطه التوجيهي بكل دقّة وحذر، وكان يستعين بجهاز الوكلاء الذي أسسه الإمام الصادق عليه السلام وأحكم دعائمه أبوه الإمام الجواد عليه السلام وسعى من خلال هذا الجهاز المحكم أن يقدّم لشيعته أهمّ ما تحتاج إليه في ظرفها العصيب. وبهذا أخذ يتّجه بالخط الشيعي أتباع أهل البيت عليهم السلام نحو الاستقلال الذي كان يتطلّبه عصر الغيبة الكبرى، فسعى الإمام علي الهادي عليه السلام بكل جدّ في تربية العلماء والفقهاء إلى جانب رفده المسلمين بالعطاء الفكري والديني – العقائدي والفقهي والأخلاقي-.

ويمثّل لنا مسند الإمام الهادي عليه السلام جملة من تراثه الذي وصل إلينا بالرغم من قساوة الظروف التي عاشها هو ومن بعده من الأئمة الأطهار عليهم السلام، وأعطى الله (عزَّ وجلَّ) أئمة أهل البيت عليهم السلام من العلم والحكمة والفضل والشرف ما لم يُعطِ أحداً من العالمين، فأهل البيت عليهم السلام هم (شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم) كما عَبَّر عن ذلك الإمام علي عليه السلام .

والإمام الهادي عليه السلام هو أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد أظهر من العلم والمعرفة ما يُبهر العقول، ويدل على صدق إمامته؛ فقد أجاب عليه السلام عن أعقد المسائل العَقَدية والفكرية والفقهية، كما فَنَّد النظريات الخاطئة، والثقافة المنحرفة التي كانت سائدة في زمانه. وقد كان لآرائه العلمية والمعرفية والكلامية دوراً مهماً ورئيساً في توضيح ثقافة الإسلام الأصيلة.

وبالإضافة للدور العلمي والثقافي المهم الذي قام به الإمام الهادي عليه السلام فقد كان له دور سياسي بارز تمثل في موقف المعارض للحكم العباسي الفاسد، وقاد مسيرة

النضال والكفاح ضد الظلم والاستبداد والإنحراف والفساد الذي شاع في الدولة العباسية.

تفسير القرآن عند الإمام علي الهادي عليه السلام

١- القراءات الدلالية

إنّ مفهوم الدلالة هو ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كالدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب[٦].

أ- قراءات منهجية تتضمن تفسيراً معجمياً :

وتعدّ اللغة لغة اشتقاقية متسمة بثراء مفرداتها وتدور الدلالة الصرفية في دائرة النظام الصرفي الذي يدرس بنية الكلمة وصيغها والمتغيرات التي تطرأ عليها ومكامن الدلالة فيها ، عبر وظيفتها وأثرها الايحائي في المعنيين المعجمي والتركيبي معاً .

وقد روي عن الإمام علي الهادي عليه السلام قوله في تفسير مفردة (المَيسر) في قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) البقرة / ٢١٩ ، ((كلّ ما قومر به فهو المَيْسِر وكلّ مسكر حرام))[٧] ، ومصداق ذلك ما ورد في دلالة (المَيْسِر) في التفسير اللغوي أنّ (المَيْسِر من مادة (اليُسْر)، وإنّما سمّي بذلك ؛ لأنّ المقامر يستهدف الحصول على ثروة بيُسْرٍ ودون عناء[٨].

وكذلك قوله ﷺ في تفسير مادة (النور) في قوله تعالى : (اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) النور / ٣٥ ، : (يعني هادي من في السماوات ومن في الأرض)[٩].

فدلالة مادة (النور) تعني الهداية في التفسير اللغوي ؛ لما يمثلهُ النور فهو((الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار ... ويقال : أنار الله كذا ونوره ، وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنّه هو المنوِّر ... وتسميته تعالى بذلك لمبالغة فعله))[١٠].

ب- قراءات منهجية تتضمن تفسيراً أسلوبياً :

سئل الإمام أبو الحسن علي الهادي ﷺ عن قوله تعالى : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) سورة الإنسان / ٣٠.

إذ قال ﷺ: ((إنّ الله جعل قلوب الأئمة مورداً ، فإذا شاء الله شيئاً شاءوه))[١١].

وهذا التفسير يخالف المفوّضة الذين يكذبون مشيئة الله تعالى ، فقد جاء عن الإمام القائم(عجل الله تعالى فرجه الشريف) قوله: ((كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله (عزَّ وجلَّ) فإذا شاء شئنا ... لا يشاء إلا ما يقتضيه علمه وحكمته))[١٢].

أي ليس لكم الاستقلال الكامل، بل((إنّ قدرتكم واستطاعتكم وحريتكم لا تخرج عن دائرة المشيئة الإلهية ، وهو قادر على أن يسلب هذه القدرة والحرية متى شاء ، من هذا يتضح أنّه لا جبر ولا تفويض في الأوامر ، بل إنّها حقيقة دقيقة وظريفة بين الأمرين، أو بعبارة أخرى : انّها نوع من الحرية المرتبطة بالمشيئة الإلهية ، إذ يمكن سلبها متى يشاء ليتسنى للعباد تحمل ثقل المسؤولية الذي يعدّ رمزاً للتكامل من جهة ، ومن جهة أخرى أن لا يتوهموا استغنائهم عن الله تعالى ، والخلاصة أنّ هذه الآية تدعو الإنسان إلى أن لا يتوهم أنّه مستغن عن رعاية الله وتوفيقه ، وفي الوقت نفسه تؤكد حريته في أعماله وسلوكه))[١٣].

وربما أشار عليه السلام بطريقة أسلوبية إلى نوع المُخاطَب ليدلّ على ذكره الملامح الأسلوبية في تفسيره للنص القرآني : (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) يونس / ٩٤ ، إذ قال عليه السلام : (إنّ المُخاطَب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن في شك مما أنزل الله إليه ، ولكن قالت الجهلة : كيف لم يبعث الله (عزّ وجلّ) نبياً من الملائكة ؟ ولِمَ لم يفرق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب ، والمشي في الأسواق فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب بمحضر من الجهلة هل بعث الله نبياً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ؟ ، ولك بهم أسوة يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وإنّما قال : (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ) ، ولم يكن للنصفة كما قال : (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) آل عمران / ٦١ ، ((ولو قال : « تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله (عزّ وجلّ) أنّ نبيه مؤدٍ عنه رسالته ، وما هو من الكاذبين ، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه صادق فيما يقول ، ولكن أحبّ أن يتصف من نفسه))[١٤].

ومن هنا يتضح أسلوب الخطاب القرآني في مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لتثبيت الطريق الحق في صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويعلم المخالفين أنّهم في شك من أحقيته فليسألوا أهل الكتاب عن علاماته التي نزلت في الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل[١٥].

ج- قراءات منهجية تتضمن تفسيراً صرفياً :

سئل الإمام الهادي عليه السلام عن معنى مفردة (الرجيم) فقال عليه السلام: ((معنى الرجيم أنّه مرجوم باللعن ، مطرود من مواضع الخير ، لا يذكره مؤمن إلا لعنه ، وإنّ في

علم الله (عزّ وجلّ) السابق أنّه إذا خرج القائم ﷺ لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة ، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن))[١٦] ، وهي رؤية لغوية تحتوي على إشارة صرفية في دلالتها ؛ لانّ (الرجيم) تدلّ على معنى(مرجوم) ((لأنّ الأصل من الشيطان المرجوم ... فصرف من مفعول إلى فعيل ؛ لأنّ الياء أخف من الواو ، كما يقال كفّ خضيب والأصل مخضوبة ، ولحية دهين والأصل مدهونة ، ورجل جريح وصريع ، كل ذلك أصله الواو ؛ لأنّه مفعول والمرجوم في اللغة الملعون المطرود ، لعنه الله (عزّ وجلّ) معناه : طرده الله (عزّ وجلّ) وأبعده))[١٧].

د- قراءات منهجية تتضمن تفسيراً مجازياً :

التفسير المجازي آلية لغوية واجراء أسلوبي يسهم في تطوين الدلالة الايحائية وإثرائها وإكثار ظلالها وهو اجراء استبدالي يعتمد على مبدأ ترك التصريح والتحديد اكتفاء بالترميز والايماء والتلميح فينتقل الخطاب من النمط المألوف الى النمط غير المألوف ونجد ذلك في الاشارات الكنائية مثلاً روي عن الإمام علي الهادي ﷺ في تفسير معنى الشجرة التي أكل منها آدم وحواء كما في قوله تعالى : (فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ، فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ، فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) طه / ١١٧-١٢٢ ، إذ قال ﷺ : ((وأمّا الجنة ففيها من المآكل والمشارب والملاهي ، وما

تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله (عزّ وجلّ) ذلك لآدم ، والشجرة التي نهى الله (عزّ وجلّ) آدم وزوجته أن لا يأكلا منها شجرة الحسد ، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّل بالله (عزّ وجلّ) عليهما وعلى خلائقه بعين الحسد ، (فنسي ولم يجد له عزماً)[١٨]))[١٩]، إذ كنّى الإمام عليه السلام عن شجرة الخلد بشجرة الحسد بمعنى الناظر إليها يراها بعين الحسد ، فيطمع فيها ويتمناها له ؛ لأنّ الحسد غير الغبطة وهو أن يتمنى المرء ما يراه أن يكون له دون غيره ، فلا يرجوه فهو مذموم ؛ ولهذا السبب وقع المحذور وأكل آدم وحواء من الشجرة الممنوعة والمحرّمة ، فتساقط عنهما لباس الجنة إذ نظرا إلى مكانة ومنزلة أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) فحسداهما ، وكان آدم وحواء(عليهما السلام) في مرحلة اختبار لا تكليف ؛ لأنّ الأمر والنهي كان إرشادياً .

ولهذا جاء الخطاب القرآني في بعده السياقي عند (إضافة الشجرة إلى الخلد وهو الخلود ؛ لأنّ من أكل منها خلد بزعمه ، كما قيل لحيزوم (فرس جبريل) : فرس الحياة ، لأنّ من باشر أثره حُيِيَ)[٢٠]؛ لاكتساب الشجرة صفة الخلودية بأثر التعريف الإضافي ، وهو من باب التعظيم لهذه الشجرة ؛ لأهميتها ومكانتها ، على الرغم من أنّ كل ما تحتويه الجنة من موجودات خالد لا ينتهي .

وسئل عليه السلام عن قوله تعالى : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) الشورى / ٥٠ ، فجاء في تفسيره المجازي: ((إنّ الله تعالى زوّج الذكران المطيعين ، ومعاذ الله (عزّ وجلّ) أن يكون على الجليل العظيم ما لبّست على نفسك بطلب الرُّخص لارتكاب المحارم (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) الفرقان / ٦٨-٦٩ ، إن لم يتب))[٢١]إذ يتضمن الفعل (يزّوج) معنى الجمع في

معناه اللغوي العام وهي دلالة ايحائية منبعثة من الخطاب القرآني في سياقاته وابعاده التركيبية .

ومن قراءاته ﷺ المجازية التي تتضمن شيئاً من التورية أو التعمية والغموض ؛ لما تحمل القراءة من كناية لشخصيات لا يريد أن يظهرها بصورة واضحة ، كما جاء في رواية تفسيرية ((إنّ المتوكل قيل له : إنّ أبا الحسن ﷺ يعني علي بن محمد بن علي الرضا ﷺ يفسر قول الله (عزّ وجلّ) : (ويوم يعضّ الظالم على يديه)[٢٢] ، الآيتين في الأول والثاني ، قال فكيف الوجه في أمره ؟ قالوا : تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم ، فإنّ فسّرها بهذا كفاك الحاضرون أمره ، وإن فسّرها بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه ، قال : فوجّه إلى القضاة وبني هاشم والأولياء ، وسئل ﷺ فقال : هذان رجلان كنّى الله (عزّ وجلّ) عنهما ، ومَنّ بالستر عليهما ، أفيحب أمير المؤمنين ﷺ أن يكشف ما ستره الله (عزّ وجلّ) ؟ ، فقال : لا أحبّ))[٢٣]

والكناية مظهر بلاغي راق لأنّها تقدم الحقيقة مشفوعة بالأدلة والمعقول متلبساً ثوب المحسوس وللكناية قيمة إبلاغية تقدمها المحة الدالة .

ففي هذه القراءة المجازية تخلص مما يدعي عليه بعض الحساد للوقوع به عند المتوكل (لعنة الله عليه) ؛ لما تحمل من معان ظاهرة وباطنة أحرج فيها المتوكل أمام عامة الناس وخاصتهم من المدعوين .

وهكذا يتضح للمتلقي في فهم الخطاب القرآني أنّ هناك أسلوبين للتفاهم والتخاطب بين الناس الأول الأسلوب المباشر وهو المتعارف في استعمال المفردات في معانيها المعروفة والثاني الذي يعتمد الأسلوب غير المألوف لإيصال المعاني في ضوء أساليب علم البلاغة كالاستعارة والمجاز والكناية .

٣- قراءة منهجية تتضمن تفسيراً عرفانياً :

سئل الإمام علي الهادي عليه السلام عن قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) لقمان / ٢٧ ، فكان تفسيره عليه السلام ((فهو كذلك لو أنّ أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر حتى انفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطوفان ، ما نفدت كلمات الله ، وهي : عين الكبريت وعين اليمن ، وعين برهوت وعين طبرية و حمّة ما سيدان ، تدعى لسان ، وحمّة افريقية تدعى بسيلان ، وعين باحوران ، ونحن كلمات الله التي لا تدرك فضائلنا ولا تُستقصى))[٢٤].

هذه الإشارات المادية مقيدة بالبعد التفسيري الذي يتضمن معرفة كلمات الله تعالى (عزّ وجلّ) في أبعادها المادية ، فأشار عليه السلام إليها بتطبيق مادي ؛ لكي يستوعبها السامع بعيداً عن الغموض والتمويه فكلمات الله تعالى (عزَّ وجلَّ) لا تقاس بالأماكن المحدودة على وجه الطبيعة إلا أنّ التفسير يقتضي الإفهام بالأمثلة المادية الحسية ، وربما يلجأ إليها في التفسير الإشاري العرفاني .

وقد يكون السؤال عن شخصية تتبيّن صفاتها في النص القرآني كونه ليس نصاً تاريخياً ، وإنما يرمز إليها بطريقة الأخبار مثلما في قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) النمل / ٤٠ ، فهو ((آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف ، ولكنه أحبّ أن يُعرَّف أمته من الجن والأنس أنّه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان وأودعه آصف بأمر الله تعالى (عزّ وجلّ) ففهمّه ذلك ، لئلا

يختلف في إمامته وولايته من بعده ، ولتأكيد الحجة على الخلق))[٢٥] ، فهذه الصفات تجتمع عند رجل كان عنده اسم الله الأعظم ، وهو : يا حي يا قيوم ، وقيل : إلهنا وإله كلّ شيء إلها واحداً لا اله إلا أنت . وقيل : يا ذا الجلال والإكرام ، وعن الإمام الحسن عليه السلام: الله ، والرحمن . وقيل : هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام ، وكان صدِّيقاً عالماً))[٢٦].

٢ – قراءة منهجية تتضمن تفسيراً فقهياً :

إنّ علم التفسير الفقهي علم جليل القدر له أصوله وقواعده ، وُجِد منذ العهد النبوي الشريف ، يعنى بالأحكام الشرعية العملية ، ويسمى بـ(تفسير آيات الأحكام)[٢٧].

وقد روي عن الإمام الهادي عليه السلام في تفسيره بعض الآيات من الناحية الفقهية بالإشارة إلى معنى (الجاموس) ضمناً لمفردة (البقر) بالمعنى العام ودلالتها على الأنعام بعد ادعاء بعض أهل العراق أنّه ممسوخ أو مسخ إذ يراه الإمام عليه السلام من الأنعام المشمولة بالآية الكريمة (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ)[٢٨].

وروي عنه أيضاً في تفسيره مفردة (مواطن) في قوله تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) التوبة / ٢٥ ، إذ جاء ذلك في قصة رويت عن المتوكل أنه: ((كان نذر أن يتصدق بمال كثير إنْ عافاه الله (عزَّ وجلَّ) من علته ، لمّا عوفي سأل العلماء عن حدّ المال الكثير فاختلفوا ، ولم يصيبوا المعنى ، فسأل أبا الحسن عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام يتصدق بثمانين درهماً ، فسأل عن علة ذلك ؟ فقال عليه السلام : إنّ الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ)[٢٩] ، فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغت

ثمانين موطناً وسمّاها الله (عزَّ وجلَّ) كثيرة فسُرّ المتوكل بذلك وتصدق بثمانين درهماً))[٣٠] .

وفي ضوء هذا التفسير الفقهي نجد أنّ القرآن يقف عند أدق تفاصيل الإنسان ، ولا يفسّر إلا من لدن أئمة الهدى والتقوى والورع والمعصومين عليهم السلام عن الخطأ الذين يعرفون كلّ تفاصيل القرآن ، فضلاً عن جزئياته التي تهمّ الإنسان .

وسئل عليه السلام أيضاً: عن الحدّ الذي يقام في حق رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة في زمن المتوكل بعدما اختلف العلماء في عصره ، فكان حكم الإمام عليه السلام يضرب حتى يموت ، فلم يصدقوا حتى يأتي بسنة أو آية[٣١] من القرآن الكريم ، فذكر لهم الآية الكريمة : (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) غافر/ ٨٤ – ٨٥.

٤- قراءة منهجية تتضمن إشارة تاريخية :

يشكل التفسير الروائي حلقة موثقة في سلسلة المناهج التفسيرية[٣٢] ، وهو تأكيد لبعض الإشارات التاريخية المهمة ، إذ جاء في تفسيره لبلاد الأحقاف كما هي واردة في قوله تعالى : (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ) الأحقاف / ٢١ في خبر روي أنّ المعتصم أمر بحفر بئر ، فحفروا ثلاثمائة قامة ، فلم يظهر الماء

فتترك ، وعندما تولى المتوكل أمر أن يحفر البئر حتى يبلغ الماء حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول ، فانكسرت فخرج منها ريح باردة فمات من كان بقربها فكتب المتوكل إلى الإمام علي الهادي عليه السلام يسأله عن ذلك فقال : تلك بلاد الأحقاف ، وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر[٣٣] كما ذكرت في قوله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) الحاقة / ٦، فضلاً عن ذلك فإن مادة (الأحقاف) جمع تكسير لمادة (حقف) ، أي الرمل المائل[٣٤].

وليس من شك أنّ حديث أهل البيت عليهم السلام من أهم مفاتيح معرفة كتاب الله (عزَّ وجلَّ)، ولا يمكن لأي مفسر يريد أن يفهم كتاب الله تعالى أن يستغني عما أُثر عنهم عليهم السلام في هذا الميدان، وإذا لم يضع نصب عينيه الخطوط الأساسية التي رسموها عليهم السلام لفهم القرآن الكريم، فإن الفشل سيكون نصيبه.

وقد جعل الله تعالى تركيبة القرآن على هيأة تناسب هداية مختلف أنواع المخاطبين كما تفتح الباب أمام أولي الألباب للعثور على المعارف العميقة.

نتائج البحث :

اعتمد البحث على نقل النصوص التي تحمل رؤية الإمام علي الهادي عليه السلام في الجانب التفسيري من مصادر مختلفة ولم يعتمد على مصدر واحد وبيّن رؤية الإمام عليه السلام في ضوء المناهج الحديثة .

نظر البحث في تفسير الإمام عليه السلام نظرة مجملة وجزئية على الرغم من قلة النصوص المشار فيها الى جهده التفسيري.

أسفر البحث عن قراءات منهجية في الروايات التي تذكر ملامح التفسير عند الإمام (عليهم السلام) مركزاً على توضيح وتحليل المناهج التفسيرية التي بُيِّنَ في ضوئها النص القرآني .

إنّ منهج الأئمة عليهم السلام ولاسيما الإمام علي الهادي عليه السلام في فهم النص القرآني يقف عند منهج التفسير اللغوي والسياقي بشكل عام ، وهناك شذرات عامة في التفسير الفقهي والعقائدي والعرفاني ، فضلاً عن الإشارات التاريخية التي ترجع إلى حقبة من الزمن وغير ذلك .

لم يغرق البحث بعرض النصوص كاملة بسندها ومتنها بشكل سطحي وتراتبي إلا ما ندر ؛ لأجل التوضيح وإزالة الإبهام ، وإنّما استفاد البحث من الطرح المنهجي في ضوء الدراسات المعاصرة للنص القرآني بعد التقسيم والتصنيف ضمن مضامينها وحقولها الدلالية .

الهوامش

١ – الكافي– باب الأئمة عليهم السلام معدن العلم ، ح ٢ : ١ / ٥٤٨.

٢- المصدر نفسه – باب إنّه لم يجمع القرآن كلّه إلا الأئمة ﷺ، ح ١ : ١ / ٢٢٨.

٣- المصدر نفسه ، ح ٣ : ١ / ٢٢٩.

٤- ينظر : دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية : ١٨.

٥- الإمام العسكري الحسن ﷺ: ١٢٠.

٦- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن – دلّ : ٣١٦ – ٣١٧.

٧- تفسير العياشي : ١ / ١٠٦

٨- الأمثل : ١ / ٥٣١.

٩- الاحتجاج : ٢ / ١٩٩ .

١٠- مفردات ألفاظ القرآن : ٨٢٧- ٨٢٨ .

١١- بصائر الدرجات – باب نوادر الأئمة وأعاجيبهم ، ح ٤٧ : ١٠ / ٥٦٠

١٢- تفسير الصافي : ١٣٠٥.

١٣- الأمثل: ١٤ / ٦٤٢.

١٤- بحار الأنوار : ٢٥ (٤٩-٥٠) / ٣٢٤.

١٥- ينظر : الأمثل : ٥ / ٥٣٩.

١٦- معاني الأخبار : ١٢٣ ، وينظر : تفسير الصافي : ٣٥.

١٧- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٨ .

١٨- طه / ١١٥.

١٩- بحار الأنوار : ٢٥ (٤٩-٥٠) : ٣٢٤ ، وينظر : معاني الأخبار : ١٠٩ .

٢٠- الكشاف : ٣ / ٦٦ .

٢١-بحار الأنوار : ٢٥ (٤٩-٥٠) / ٣٢٤ ، وتحف العقول : ٥١٣- ٥١٤

٢٢- الفرقان / ٢٧.

٢٣- بحار الأنوار : ٢٥ (٤٩ -٥٠) / ٣٥٠- ٣٥١

٢٤- المصدر نفسه : ٢٥ (٤٩-٥٠) / ٣٢٤ ، والاحتجاج : ٢ / ٢٠٦ ، وتحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام : ٥١٣ .

٢٥- بحار الأنوار : ٢٥ (٤٩- ٥٠) / ٣٢٣ .

٢٦- الكشاف : ٣ / ٢٧٨

٢٧- ينظر : مناهج التفسير واتجاهاته : ٣٥٩.

٢٨-ينظر : تفسير العياشي : ١ / ٣٨٠ .

٢٩- التوبة / ٢٥.

٣٠- تحف العقول : ٥١٦ ، وينظر : الاحتجاج : ٢ / ٢٠٤ ، وبحار الأنوار : ٢٥ (٤٩- ٥٠) / ٣٢٣ ، وسيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام : ٢ / ٤٥٩.

٣١- ينظر : تفسير القمي : ١٠٩٢ ، وبحار الأنوار : ٢٥ (٤٩ – ٥٠) / ٣٢٦ ، وسيرة الأئمة الأثني عشر عليهم السلام : ٢ / ٤٥٨.

٣٢-ينظر : اللباب في تفسير الكتاب : ٢٣.

٣٣- ينظر : تفسير القمي : ٥٩٦- ٥٩٧ .

٣٤- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، حقف : ٢٤٨ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الاحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ت٦٢٠هـ، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخراساني ، مطبعة ستارة ، ط٣ ، ١٤٢٩هـ.

٢. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : أبو عبدالله الحسين بن احمد (ابن خالويه) (ت ٣٧٠هـ)، دار التربية ، مطبعة منير (افسيت) ، بغداد ، (د. ت) .

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، مطبعة سليمان زاذة ، ١٣٨٤هـ- ١٤٢٦هـ- ق .

٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) : الشيخ محمد باقر المجلسي ، تعليق : الشيخ علي النماز الشاهرودي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨ م .

٥. بصائر الدرجات : أبو جعفر محمد بن حسن بن فروخ الصفار (ت٢٩٠هـ) ، منشورات الاعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠م .

٦. تحف العقول عن آل الرسول : أبو محمد الحسن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

٧. تفسير الصافي : الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، تحقيق : محسن عقيل ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠١٢م.

٨. تفسير العياشي : أبو النظر محمد بن سعود العياشي من أعلام القرن الرابع الهجري ، طهران ، المكتبة العلمية الإسلامية (د . ت) .

٩. تفسير القمي : أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (من إعلام القرن الثالث) ، مراجعة وتحقيق : الشيخ محمد الصالحي الانديمشكي ، مطبعة ستاره ، ط١ ، قم المقدسة ، ١٤٢٨هـ .

١٠. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية : محمد علي الرضائي الاصفهاني ، مطبعة صدف ، طهران ، ط١ ، ١٣٨٣ش .

١١. سيرة الأئمة الاثني عشر : هاشم معروف الحسني ، مطابع بيروت الحديثة ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م .

١٢. العسكري الحسن عليه السلام : حسين الشاكري - موسوعة المصطفى والعترة (١٥) ، مطبعة ستارة ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ .

١٣. الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبرالغفاري، ط٥، المطبعة : حيدري، دارالكتب الإسلامية–طهران، سنةالطبع : ١٣٦٣ هـ ش.

١٤. الكشاف : محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٢٨هـ ، تدقيق : أبو عبد الله بن منير آل

زهوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان :ط١ ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م .

١٥. اللباب في تفسير الكتاب : السيد كمال الحيدري ، دار فرقد ، ط١ ، مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١١هـ - ٢٠١٠م .

١٦. معاني الأخبار : الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي ت ٣٨١هـ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ .

١٧. مفردات ألفاظ القرآن : العلامة الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط٢ ، مطبعة سليما نزاده ، قم ، ١٤٣٧هـ ش .

١٨. مناهج التفسير واتجاهاته – دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم : د . محمد علي الرضائي الاصفهاني ، تعريب : قاسم البيضاني ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٨ م .

"في التسليم للعترة الأطهار"

الصياغة الفنية الأدبية فيما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام

Literary Technical Formation as Narrated by Imam Hassan Askari (peace be upon him)

م. م. أحمد جاسم ثاني

العراق / جامعة البصرة / كلية التربية

قسم اللغة العربية

Asst. Lect. Ahmed Jassim Thani
University of Basra / Faculty of Education
the department of Arabic language

ahmedjth@gmail.com

تاريخ التسليم: ٢٨/ ٨/ ٢٠١٧
تاريخ القبول: ١١/ ١٠/ ٢٠١٧

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص

هذا البحث قراءة جمالية متواضعة لأدب الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام الذي تزامنت مدة إمامته مع العصر العباسي الثاني، فتتبّع البحث أولاً دلالة مصطلح الصياغة الفنية في كتب اللغة والأدب، وخرج بتعريف اصطلاحي له، ثم عرّج على طبيعة ذلك العصر الحافل بالأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية التي ألقت بظلالها على أدب تلك المرحلة، وأدت إلى تطور فنون النثر وتفوّقها على الشعر في تلبية متطلبات الواقع والتعبير عن الأغراض الأدبية، فنشطت بعض الفنون النثرية مثل أدب الرسائل وبرزت أسماء أدبية لامعة في ميدان النثر والشعر، مثلما تناول البحث المكانة العلمية والمكانة الأدبية للإمام العسكري عليه السلام الذي قَدِم من المدينة إلى سامراء، فكان له أثره في المجتمع على الرغم من مضايقات السلطة العباسية، فتنوّع تراثه الأدبي وتوزّع على أشكال متعددة، اقتصر البحث على دراسة ما صيغ منها بلغة أدبية فنية، وهي أربعة أنواع: أدب الرسائل، وأدب الخاطرة، والحديث الفني، فضلاً عن أدب الدعاء، فوقف عند كل نوعٍ منها معرّفاً مصطلحاتها ومحللاً نماذج منه وكاشفاً عن صياغته الفنية، وموضّحاً مضامينه السامية، عبر أسلوب التحليل البلاغي للصور الفنية من تشبيه، واستعارة، وتمثيل، ورمز ، وفرضية، وتضمين، فضلاً عن تحليل شيء من البناء الإيقاعي لتلك النصوص وهو تحليل يستضيء بمنهج المرحوم العلامة الدكتور محمود البستاني الذي يُعد رائداً في دراسة تراث المعصومين عليهم السلام، ومجدداً في ميدان الدراسات البلاغية والأدبية والنقدية، وأخيراً خرج البحث بنتيجة مفادها أن أدب الإمام العسكري عليه السلام بشكل عام، سواء ما كان تعبيره أدبياً أو علمياً خالياً من أدوات الفن، هو من الأدب الهادف، الذي يأتي في سياق الدعوة إلى الله تعالى وتوصيل مبادئ الدين للآخرين،

ويختلف هذا التعبير لغةً وأسلوباً وحجماً بحسب المناسبات والظروف التي يُنشأ فيها؛ لذا فإن نصوصه عليه السلام لم تتوقف عند تلك الأشكال والأجناس الأدبية، فثمة وصايا، ومحاورات، وتوقيعات، وإجابات، وتفسير للقرآن، أذكار وزيارات وغيرها، إلا أن البحث التزم بموضوعه الأساس وهو دراسة التعبير الفني فقط من ذلك التراث.

Abstract

Literary Technical Formation as Narrated by Imam Hassan Askari (peace be upon him) is a modest aesthetic reading of the literature of Imam Abu Muhammad al-Hasan ibn Ali al-Askari whose period coincided with the second Abbasid period. The research first followed the term "technical formation" in the books of language and literature, Which led to the development of the arts of prose and superior to the poetry in meeting the requirements of reality and the expression of literary purposes, some of the prose arts such as letters of letters and prominent literary names emerged in the field of prose and poetry, Flag stature, which was presented from the city to Samarra, practiced its scientific and literary role in the society despite the harassment practiced by the Abbasid authority against him. His literary heritage varied and was distributed in several ways. The research was limited to studying what was written in literary literary language, Four kinds of literature letters, literature and technical talk as well as the literature of supplication, stood at each type, including the definition of terminology, and analyzed models of them, revealing their artistic formulation, and explicating their contents, through the method of rhetorical analysis of technical images of analogy and metaphor and representation and symbol and hypothesis and include, For analyzing something From the rhythmic construction of these texts, an analysis that illuminates the approach of the late Dr. Mahmoud al-Bustani, who is a pioneer in the study of the heritage of the infallible, and again in the field of rhetorical, literary and monetary studies. What is literary or scientific expression free of the tools of art, is a literature purpose, which comes in the context of the call to God and the delivery of the principles of religion to others, and this expression differs language and style and size according to events and circumstances that arise; In those forms and literary genres There's commandments and Analects signatures and answers and interpretation of the Koran adhkaar and visits and others, but the research committed to the foundation is only the subject matter hereof study the artistic expression of that heritage.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

من الصفات التي اختص بها الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام العصمة من كل خطأ سواء أكان في الفكر أو القول أو الفعل ومن الطبيعي أن تكون لغتهم التي تكلموا بها ووصلت إلينا عبر التراث الروائي – فيما صحّ عنهم – هي لغة معصومة أيضاً من جهتي اللفظ والمعنى، ولا غرابة في ذلك ولا ريب، فهم موضع الرسالة ومهبط الوحي وخزّان العلم، لذا نجد أثر القرآن واضحاً في تعبيرهم الذي منه يستمد بلاغته، وينتهج أسلوبه في اختيار الألفاظ والتراكيب وصياغة النصوص، ولّما كان من مقتضيات البلاغة أن لكل مقام مقال فقد صيغت نصوص المعصومين عليهم السلام بلغة علمية تارةً، وفنية هادفة تارةً أخرى، وهي خاضعة للأحوال والظروف التي قيلت فيها، وللغرض الرسالي التي صيغت من أجله، ألا وهو الدعوة إلى طاعة الله تعالى والنهي عن معاصيه، ونشر الفضائل المؤدية إلى مكارم الأخلاق.

وهذا البحث محاولة للتأمل في أدب الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي جاء على وفق الأجناس الأدبية المعروفة في الأدب العربي، كالرسائل، وأدب الخاطرة، والحديث الفني وغيرها من أنماط التعبير الأدبي، وقراءة الظروف الموضوعية التي ولدت فيها هذه النصوص، وما نتج عن ذلك من آثار على طبيعة صياغتها الفنية، لنستجلي أهم الخصائص التعبيرية في كلامه عليه السلام، والسبيل في ذلك الرجوع إلى

مصادر السيرة والروايات التي حفلت بآثار المعصومين عليهم السلام، فضلاً عن كتب اللغة والبلاغة والأدب والنقد.

مصطلح الصياغة الفنية:

الصياغة لغةً: من الصوغ وهو مصدر، والفعل منه: صاغ الشيء يصوغه صوغاً وصياغةً، وصغتُه أصوغه صياغةً وصيغةً، بمعنى أسبكه، يُقال: صاغ شعراً أو كلاماً أي وضعه ورتّبه وسبكه[1].

ويبدو أن مفردة (الصياغة) قديماً كانت تحمل دلالة غير إيجابية، إذ إنها تدل على تصنع الكلام أو المبالغة فيه أو تغييره أو تلوينه بالباطل، قال الزبيدي: ((وقيلَ: إنَّ المُرادَ بهِ صِياغَةُ الكَلامِ وصَبْغَتُه وتَلْوِينُه بالبَاطِلِ، كما يُقال: فُلانٌ يَصُوغُ الكَلامَ ويُزَخْرِفُه، ونَحْوُ ذلكَ منَ القَوْلِ))[2]. وفيما بعد تطورت دلالة هذا اللفظ إيجابياً، فأصبح يدل على التعبير الفصيح البليغ المشتمل على الصور الجمالية، وقد ورد هذا المعنى في بعض كتب البلاغة القديمة، قال التفتازاني في معرض حديثه عن «حسن الابتداء والتخلص والانتهاء»: ((ينبغي للمتكلم شاعراً كان أو كاتباً أن يتأنق ... في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون تلك المواضع الثلاثة أعذب لفظاً بأن تكون في غاية البعد عن التنافر والثقل، وأحسن سبكاً بأن تكون في غاية البعد عن التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة والمتانة والرقة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن تكتسي اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على العكس بل يصاغان صياغة تناسب وتلاؤم ...))[3].

كما ورد المصطلح في كتب الأدب أيضاً، ففي تعليق الدكتور شوقي ضيف على إحدى رسائل العصر العباسي يقول: ((وصياغة الرسالة صياغة مضبوطة محكمة، ويكثر فيها التقابل بين العبارات ويكثر التفاصح واستخدام كلمات القرآن الكريم وبعض آيه ... مما يدل على تمكن الكاتب من العربية والثقافة الإسلامية القرآنية ...))[٤]. فأورد مصطلح الصياغة في سياق الحديث عن النصوص المضبوطة المحكمة وتمكن كاتبها من العربية، مما يدل على رقي دلالة هذا المصطلح.

من ذلك يمكننا أن نعرِّف (الصياغة الفنية) بأنها: سبك الكلام والتعبير عن المعاني المقصودة بالألفاظ الموافقة للمقام، وإخراجه على شكل نصٍ أدبي بليغ موشّح بأدوات فنية لفظياً وصورياً وإيقاعياً.

ولما كانت نصوص المعصومين عليهم السلام تُعد من الأدب الهادف المسخّر للدعوة إلى الله تعالى وتربية الأمة ووعظها فإنها أبلغ وأجمل من النصوص الأدبية القائمة على الخيال والوهم، بل هي أفضل من كلام الناس أجمعين كما ورد في حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ((إنّ لكلام الله فضلاً على الكلام كفضل الله على خلقه، ولكلامنا فضلٌ على كلام الناس كفضلنا عليهم))[٥]. فكلامهم دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

الأدب في عصر الإمام العسكري عليه السلام:

بدأت إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام من عام (٢٥٤هـ) إلى عام (٢٦٠هـ)، وطيلة هذه السنوات الست عاصر أحداثاً سياسية واجتماعية نتجت عنها عوامل

وظروف موضوعية أثّرت بشكل أو بآخر على أدب تلك المرحلة، إذ سيطر الأتراك على العباسيين، وحدثت اضطرابات ومؤامرات بينهما فوصلت إلى حد الخلع والقتل، مما أدى إلى أن يتعرض الإمام للاضطهاد تارةً والتكريم تارةً أخرى، ويتعرض أتباعه إلى التأرجح ذاته، فحدثت ثورات في ذلك العصر، وقد رافق ذلك انحراف اجتماعي، مما أدى إلى ظهور نوع من الأدب يحمل طابعاً اجتماعياً ويمثله (فن الرسائل)، إذ بقي هذا النوع من الفن محتفظاً بطابعه وغزارته، ((ودبُجَ بعض الكتّاب رسائل طريفة ومفيدة شبيهة بما يُعرف الآن بالخواطر الأدبية، تناولت موضوعات كثيرة تتعلّق بالأخلاق والتهذيب والتوجيه والنصح والإرشاد وشؤون الحياة المختلفة ...))[٦].

وبشكل عام فإن أدب هذه المرحلة، ولاسيما الفنون النثرية، قد شهد نشاطاً وتطوراً ملحوظاً، وقطع شوطاً بعيداً في مضمار الرقي والتقدم بعد الانفتاح على الأمم الأخر وتمازج الثقافات، كما برزت مؤلفات ودراسات في ميادين النقد والبلاغة وتاريخ الأدب[٧]. يقول الدكتور طه حسين: ((ليس غريباً إذاً أن تتغير طبيعة النثر في آخر القرن الثاني وطوال القرن الثالث وأن تكثر موضوعاته، وأن يزاحم الشعر حتى يسبقه، فقد كان النثر لا يكاد يتجاوز النثر السياسي والتاريخ ... أما في آخر القرن الثاني وطوال القرن الثالث فقد أصبح النثر فناً تُؤدَّى فيه العلوم الشائعة جميعها على كثرتها واختلافها ... وهذا طبيعي مفهوم، لأن النثر أيسر وأبسط، وهو أقدر وأوسع للمعاني، فيستطيع الكاتب إذا عرض لفن أو لمسألة أن يتناولها من جميع وجوهها جميعاً دون أن يحيل بينه وبين الاتجاه فيها يريد وزنٌ أو قافيةٌ، أو شرط من هذه الشروط التي كانت تقيّد الشعراء))[٨]. فبرزت أسماء متميزة في ميدان النثر التأليفي في هذا العصر، من أمثال الصولي والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم[٩].

وفي ميدان الشعر برز أيضاً شعراء معروفون، حملوا ريادة الشعر، وفي مقدّمتهم: علي بن الجهم والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والصنوبري والحمّاني وسواهم وتعددت أغراض شعرهم بين السياسة والمديح والهجاء والغزل والمجون والزهد والتصوف[١٠]، إلا أن الدواوين الشعرية والكتب الأدبية تشي برجحان كفة المديح في ذلك العصر؛ ولعل ذلك يعود إلى كثرة المدّاحين الذين سخّروا شعرهم لكسب المال[١١].

المكانة العلمية والأدبية للإمام العسكري عليه السلام:

يُعد الإمام العسكري عليه السلام عَلَماً من أعلام الفكر الإنساني؛ وذلك لما أُثر عنه من مواهب وعبقريات وطاقات علمية وجهادية، ولمواقفه المعارضة للحكم العباسي المنحرف عن الحق والعدل[١٢]. فهو من أعلام أئمة الهدى الاثني عشر، ويكفيه فخراً ما وصفه به جده رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه الناطق عن الله تعالى، في حديث مروي عن أبي هريرة قال: ((كنت عند النبي صلى الله عليه وآله ... إذ دخل الحسين بن علي عليه السلام فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وقبّله ثم قال: ... يا حسين أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة، تسعة من ولدك أئمة أبرار. فقال له عبد الله بن مسعود: ما هؤلاء الأئمة الذين ذكرتهم في صلب الحسين؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: يا عبد الله سألت عظيماً ولكني أخبرك أن ابني هذا ووضع يده على كتف الحسين عليه السلام - يخرج من صلبه ... [إلى أن قال:] ويخرج من صلب علي الحسن الميمون النقي الطاهر الناطق عن الله ...))[١٣]، وقد ذكره المؤرخون وأصحاب السِيَر بوصفه عَلَماً بارزاً من أعلام عصره في العلم والمعرفة، وفي التقوى والعبادة، وفي الوجاهة والقيادة والريادة[١٤]؛ فمثّل الإمام العسكري عليه السلام ((امتداداً لسائر أئمّة العصمة الذين احتلّوا موقعاً ريادياً في المجتمعات الإسلامية، على الرغم من محاولات السلاطين المتنوّعة: في إبعاد الجمهور عنهم وصرف الإمامة الحقيقية عن شخصياتهم، حيث لم يحتجز الإرهاب والتعتيم الإعلامي عن تسليم الجمهور بإمامتهم وريادتهم إسلامياً))[١٥].

وقد انفرد الإمامان العسكريان عن سائر الأئمة عليهم السلام بالقدوم إلى مدينة سامراء تبعاً لمقر السلاطين العباسيين عصرئذٍ، إذ كان تخوّف هؤلاء السلاطين من مكانة الأئمة عليهم السلام بين الناس يدفعهم إلى أن يبعدوهم من المدينة المنورة ويستدعوهم إلى

مكان قريب منهم في سامراء[١٦]، مما أثّر في حجم النتاج الأدبي وقلته لديهما إذا ما قُورن بحجم النصوص الواردة عن آبائهم المعصومين ﷺ؛ وذلك لأسباب سياسية وغيبية واجتماعية قاسية، فضلاً عن حجز الناس عن الوصول إليهما[١٧]، ولكن ((ما دام توصيل مبادئ الله تعالى إلى الآخرين لا ينحصر في نتاج محدَّد بقدر ما تفرضه مناسبات متنوعة عبر رسالة أو خاطرة أو مقابلة، حينئذٍ فإن النتاج الفني يظل مرتبطاً بتوفر هذا المناخ أو ذاك))[١٨]. فالإمام العسكري يماثل الأئمة المعصومين ﷺ شخصياً ووظيفياً، ويتفاوت معهم من حيث النتاج الأدبي[١٩].

ومن الملاحظ أن النتاج الأدبي لأهل البيت ﷺ قد اعتنى بالعنصر الصوري، وهذا العنصر تميّز في أدب المعصومين ﷺ عن غيره من الآداب، وذلك في كونه لا يرد إلا في سياق خاص، ويستقي ما هو مألوف من الخبرات اليومية، ومكثفاً عميقاً ومركّزاً، فضلاً عن كونه متناسباً مع الدلالات التي يستهدف توصيلها للمتلقي، وهذه جميعاً تمثل مهمة الفن في أنجح مستوياته[٢٠].

أدب الإمام العسكري ﷺ:

لقد رافق الإمام العسكري ﷺ أباه في رحلته من المدينة المنورة إلى سامراء ولّما يزل صبياً، وذلك حينما استدعى المتوكلُ الإمامَ الهادي ﷺ إلى عاصمة البلاط العباسي آنذاك، ليكون محجوزاً ومراقباً ومعزولاً عن أتباعه، وعلى الرغم من ضعف الخلافة في هذا العصر وانحلالها، فقد بقي العباسيون على المنوال نفسه الذي سار عليه أسلافهم إبان عصر القوة والازدهار في التصدي للأئمة أهل البيت ﷺ وشيعتهم والتنكيل بهم؛ وذلك لأن علاقة الحاكم بالإمام (عليه السلام) تقوم

على أساس الخوف من نشاط الإمام وأثرهُ الايجابي في الحياة الاسلامية، لما يتمتع به من سمو المكارم ومن شخصية علمية وروحية فذّة تجتذب مختلف أوساط الأمة، والشعور بخطورة هذه المنزلة يصل إلى درجة الرعب، فطوقوا الإمام العسكري عليه السلام بحصار شديد ورقابة صارمة عليه، وتربصوا به وبأصحابه، ومن هنا يبرز تخوف السلطة من الانقلاب على نظامها لمصلحة الإمامة، الأمر الذي تحرص معه على ربط الإمام بالجهاز الحاكم وتقريبه بشتى الوسائل، كالسجن أو الحجز والحصار؛ وذلك لدوام مراقبة الإمام وتحديد حركته وفصله عن أتباعه ومواليه ومحبّيه المؤمنين بمرجعيته الفكرية والروحية[٢١].

وعلى الرغم من كل ذلك الضغط والكبت والاضطهاد الذي كان يعانيه الإمام العسكري، فضلاً عن الرقابة المشددة عليه وعلى مَن له صلة به، إلا أنه كان يغتنم الفرص ليؤدي بعض ما يلزم في حدود القدرة والإمكان، فتارة يجيب السائل عن سؤاله شفوياً، وتارة يجيب عن الرسائل الموجهة إليه من أتباعه وغيرهم، وتارة يكتب بعض الرسائل حول القضايا الشرعية والأمور العقدية، فضلاً عن الكلمات القصار وهي من أحسن التعاليم للحياة الدنيوية والأخروية، فكلها حِكَمٌ ومواعظ ونصائح تعالج جميع مشاكل الحياة الفردية والاجتماعية[٢٢]، فالإمام العسكري عليه السلام مثل سائر المعصومين عليهم السلام أنموذج للشخصية العبادية التي تمارس مهمة الإمامة في

مختلف المجالات، ومنها المجال الأدبي الذي يستهدف توصيل مبادئ الله تعالى إلى عامة الناس[٢٣].

وتحدثنا الروايات عن القيمة الدلالية والجمالية لكلام المعصومين ﷺ على لسان الإمام العسكري ﷺ، فقد كتب إليه بعض أهل المدائن: ((رُوي لنا عن آبائكم ﷺ أنّ حديثكم صعب مستصعب، لا يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان))[٢٤]. فجاء الجواب: ((إنّما معناه أنّ الملك لا يحتمله في جوفه حتى يخرجه إلى ملك آخر مثله، ولا يحتمله نبي حتى يخرجه إلى نبي آخر مثله، ولا يحتمله مؤمن حتى يخرجه إلى مؤمن آخر مثله، إنّما معناه أن لا يحتمله في قلبه من حلاوة ما هو في صدره حتى يخرجه إلى غيره))[٢٥].

وقد تنوعت النصوص المأثورة عنه ﷺ بين نصوص ذات لغة علمية تخلو من الصور الفنية، وأخر مُصاغة على وفق اللغة الأدبية الفنية، ومثال الأولى ما جاء في كتابه الذي يجيب فيه على سؤال أحد أصحابه عن التوحيد إذ قال: ((سألتَ عن التوحيد، وهذا عنكم معزول، الله واحد أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، وليس بجسم، ويصوّر ما يشاء وليس بصورة، جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾))[٢٦].

فسياق الكلام يتطلب أن تكون اللغة علميةً مدعمة بالدليل في إثبات مسألة عقدية في غاية الأهمية؛ لذلك ابتعد الإمام عن الصور الفنية والمحسنات اللفظية واكتفى بالاقتباس القرآني بوصف القرآن مصدراً مهماً في إثبات وحدانية الله تعالى، وإقناع المتلقي الذي أنبأه عن اختلاف أصحابه في مسألة التوحيد.

ومنها حديثه عليه السلام الذي يعظ فيه أحد أصحابه قائلاً: ((إنّ في الجنّة باباً، يقال له: المعروف، لا يدخله إلاّ أهل المعروف...، جعلك الله منهم، يا أبا هاشم ورحمك))[٢٧].

فهو في صدد وعظه وحثّه على فعل المعروف متبعاً أسلوب الترغيب، فقدّم له مشهداً سريعاً من مشاهد الجنة، ولم يطل كثيراً لضيق المقام – على ما يبدو – فلا مجال للتوشيح بالصور والإيقاع، واستعاض عن ذلك ببعض الظواهر الأسلوبية على الرغم من قصر النص، فقدّم خبر (إنّ) وهو شبه الجملة: (في الجنة) على اسمها (باباً)، ترغيباً للمخاطب وتنبيهاً له على أهمية الأمر، كما استعمل أسلوب القصر بالنفي والاستثناء: (لا يدخله إلاّ أهل المعروف)، وكرّر لفظ (المعروف) في النص مرتين، فضلاً عن مناداته باسمه مسبوقاً بحرف النداء: (جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك) وهو منبه آخر له ودلالة على الاهتمام به، كل ذلك أفاد تقوية الفكرة وتأكيد الموعظة في نفس المتلقي.

والحاصل أن اللغة الفنية لم تكن هي السبيل الوحيد لإيصال مبادئ الإسلام إلى المجتمع، بل تتراوح اللغة بين العلمية والفنية في تعبير المعصومين عليهم السلام بحسب ما يقتضيه سياق الحال.

أما النصوص الأدبية المأثورة عنه عليه السلام فتتألف من أدب الرسائل وأدب الخاطرة والمواعظ والحكم أو ما يصطلح عليه بالحديث الفني، فضلاً عن أدب الدعاء. وكل واحد من هذه الفنون يستدعي الوقوف عنده وتعريفه وتحليل نماذج منه والتعرّف على قيمته الفنية ودلالاته ومضامينه العالية، وعلى الترتيب الآتي:

أولاً- أدب الرسائل:

من الفنون الأدبية التي راجت وحفل بها العصر العباسي الرسائل بكل أشكالها المختلفة، إذ تأتي في مقدمة الفنون الأدبية وهي أكثرها إزدهاراً واتساعاً؛ وذلك لارتباطها أشد الارتباط بحياة الناس جميعاً[٢٨]، وبشكل عام فإن أدب الرسائل ((قد فرضته طبيعة الحياة الاجتماعية السابقة التي كانت تُعنى بالبلاغة التقليدية وبالتعبير الفني في شتى نشاطاتها السياسية والعسكرية والاجتماعية ... ثم ضمر حجمها حتى انعدم أو كاد ينعدم في العصور الحديثة ...))[٢٩].

والرسالة ((قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشعر من نظمه، أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعانٍ طريفة))[٣٠].

وتؤدي الشخصية التي تُوجّه الرسالة إليها دور البطل في القصة، ولكن على مستوى المخاطبة فحسب، فيتكرر اسم الشخصية المخاطَبة كما هو طابع الرسائل بشكل عام، وهو أسلوب ينطوي على سرّ فني؛ ألا وهو شدّ الانتباه من جانب، وطرد الملل من جانب آخر[٣١].

ويمكن تقسيم رسائل العصر العباسي إلى نوعين: الرسائل الديوانية أو المكاتبات الرسمية، والرسائل الإخوانية التي يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم في مناسبات شتى، وتتسم هذه الأخيرة بالتأنق في صياغتها والعناية بديباجتها، مسندة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار وأمثال وحكم ...[٣٢].

ورسائل الإمام العسكري عليه السلام عبارة عن كتب أو أجوبة عن سؤالات كانت تُوجّه إليه من شيعته وأصحابه، فيمكن عدّها من الرسائل الإخوانية. وقد صاغها بأسلوب بليغ موشح وبأدوات فنية لفظياً وإيقاعياً وصورياً، وضمّنها خواطر وأفكاراً عبادية في مختلف القضايا، القصد منها هو إيصال مبادئ الله تعالى إلى الآخرين[٣٣]، كرسالته إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري إجابة عن سؤاله، التي جاء فيها

((... نحن بحمد الله(عزَّ وجلَّ) ونعمته أهلُ بيتٍ نرقُّ على أوليائنا ونسرُّ بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتدُّ بكلِّ نعمةٍ ينعمها اللهُ تبارك وتعالى عليهم، فأتم الله (عزَّ وجلَّ) عليك يا إسحاق وعلى من كان مثلك – ممن قد رحمه الله (عزَّ وجلَّ) وبصَّرَهُ بصيرتك – نعمته ... وأنا أقول الحمد لله (عزَّ وجلَّ) أفضل ما حمده حامده إلى أبد الأبد بما مَنَّ الله عليك من رحمته ونجَّاك من الهلكة وسهّل سبيلك على العقبة. وأيم الله إنها لعقبة كؤود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، قديم في الزبر الأولى ذكرها ... فاعلم يقينا يا إسحاق أنه من خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. يا إسحاق ليس تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ... فأين يُتاه بكم وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم، عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون وبنعمة الله تكفرون ... لولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء من ولده لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضاً من الفرائض وهل تُدخل مدينة إلا من بابها ... رحم اللهُ (عزَّ وجلَّ) ضعفكم وغفلتكم وصبركم على أمركم فما أغرّ الانسان بربه الكريم ولو فهمت الصُمُّ الصلاب بعض ما هو في

هذا الكتاب لتصدعت قلقاً وخوفاً من خشية الله ورجوعاً إلى طاعة الله (عزَّ وجلَّ) ...))[٣٤].

يتضح من هذه الرسالة أن لغة الإمام العسكري ﷺ تحفل بعناصر فنية متنوعة إيقاعياً ولفظياً وصورياً، فمن جهة الإيقاع أو البناء الصوتي نجد العبارات المقفاة نحو (إليهم، لديهم، عليهم)، (أمرها، مسلكها، بلاؤها، ذكرها)، (الصلاب، الكتاب)، وأما لفظياً فصياغة الرسالة تقوم على التساؤل والحوار والتكرار، وأما صورياً فإنها تحفل بعنصر صوري متنوع، ولاسيما الصورة التضمينية أو ما يسمى بالاقتباس القرآني، فضلاً عن الصور البلاغية الأخر كالتشبيه والتمثيل والاستعارة والرمز والاستدلال والفرضية، وعلى الرغم من أن هذه الصياغة الفنية للرسالة أكسبت النص جمالاً فنياً إلا أنها جاءت خدمة للسياق الفكري للنص[٣٥].

ومنها أيضاً رسالته ﷺ التي يجيب فيها عن كتاب محمّد بن الحسن بن ميمون الذي شكى إليه الفقر، جاء فيه: ((إنّ الله (عزَّ وجلَّ) يمحّض أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير، وهو كما حدّثت نفسك الفقر معنا خير من الغنى مع عدوّنا، ونحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبّنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنّا فإلى النار))[٣٦].

وقد استهلها باقتباس قرآني من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾، (الشورى/ ٣٠)، ثم أعقبه بتضمين حديث للإمام الصادق ﷺ: (الفقر معنا خير من الغنى مع عدوّنا ...)، وهو قائم على المقابلة بين صورتين؛ صورة من يتمسك بولاية أهل البيت ﷺ وصورة من يعاديهم، وهو توظيف يتناسب تماماً مع فكرة الرسالة وموضوعها وهو تعليل ظاهرة الفقر

لدى المخلصين من شيعتهم، فالغنى المادي الدنيوي لا قيمة له في قبال محبة أهل البيت عليهم السلام واتباع ولايتهم؛ لذا تحول الخطاب في النصف الثاني من الرسالة إلى ضمير التكلم، محتشداً بثلاث صور تمثيلية: (ونحن كهف لمن التجأ إلينا)، (ونور لمن استضاء بنا)، (وعصمة لمن اعتصم بنا)، فأهل البيت عليهم السلام ملاذ آمن لمن التجأ إليهم، وهدى لمن اهتدى بنورهم، وملجأ لمن احتمى بهم من الذنوب والآفات الدنيوية والأخروية، ويختتم الرسالة بمقابلة أخرى قائمة على أسلوب الشرط: (من أحبّنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنّا فإلى النار)، والسنام الأعلى بمعنى علو المنزلة والرفعة[٣٧].

ثانياً- أدب الخاطرة:

الخاطرة عمل أدبي انفعالي ينتمي إلى فنون النثر، يتسم بكونه تعبير في صورة موحية عن تجربة شعورية بلغت من الامتياز حداً خاصاً، فينساب الكاتب مع خواطره وأحاسيسه حتى تصل إلى التركيز الواعي في الأداء اللفظي[٣٨]، ويرى سيد قطب أن ((الخاطرة في النثر تقابل القصيدة الغنائية في الشعر، وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها))[٣٩]، والفارق بينهما هو الوزن والقافية، إلا أنه كثيراً ما تُوشّح الخاطرة بالإيقاع الذي يقابل الوزن، وتشتمل على توافق في المقاطع ويقابل القافية؛ لأن طبيعة التجارب التي تعالجها لا تستغني عن قسط قوي من الإيقاع والتنغيم[٤٠].

يعرّف البستاني أدب الخاطرة بأنه ((شكل فني «قصير جداً» من حيث الحجم، بحيث لا يتجاوز الملاحظة التي تصدر عن الإنسان لما يواجهه في حياته اليومية)) (٤١).

فالإنسان قد يستوقفه صوت الأذان في المسجد، أو مرور جنازة، أو حادثة معينة أخرى فتترك هذه الحوادث العابرة والسريعة انطباعاً في ذهنه، وهذا الانطباع يتسم بكونه إحساساً مفرداً بسيطاً، لذلك فإن المادة الذهنية للخاطرة ينبغي أن لا تتجاوز طبيعة الملاحظة اليومية للأشياء العابرة السريعة، مما يستدعي أن تكون الخاطرة ذات عبارة قصيرة غير طويلة، وجميلة من حيث إيقاعها وتجانس حروفها ومفرداتها وتراكيبها، وأن تكون مطعّمة بالعنصر الصوري، فضلاً عن حيويتها المشحونة بإثارة المتلقي بشكل هادئ ومتأنٍ(٤٢).

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن الخاطرة من الأنواع النثرية الحديثة التي نشأت في حجر الصحافة، وتتسم بكونها مجرد لمحة ذات فكرة عارضة طارئة، وهي بذلك تختلف عن فن المقالة(٤٣).

وهذا لا يعني – من وجهة النظر – أنّ أدب الخاطرة لم تكن له جذور في تراثنا العربي والإسلامي، فما وصل إلينا من النصوص الأدبية للمعصومين عليهم السلام يُثبت وجود هذا الجنس الأدبي في التراث العربي، وإن لم يكن معروفاً بهذا المصطلح، وهو ما أثبته وأصّل له الدكتور محمود البستاني – رحمه الله – في دراساته النظرية والتطبيقية لأدب الشريعة الإسلامية وبلاغتها.

ومن أمثلة أدب الخاطرة المأثور عن الإمام العسكري عليه السلام ما ورد في توقيعه الذي صدر عنه لأحد أصحابه يتحدّث فيه عن طبقات الناس وموقفهم من إمامته: ((... الناس فيَّ طبقات شتى، والمستبصر على سبيل نجاة متمسك بالحق متعلق بفرع أصيل، غير شاك ولا مرتاب ولا يجد عنه ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه، وطبقة استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرد على أهل الحق، ودفع الحق بالباطل، حسداً من عند أنفسهم، فدع من ذهب يميناً وشمالاً، فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها في أهون السعي ...))[٤٤].

هذه الخاطرة الأدبية التي تخللت كلامه عليه السلام قد صاغها بأسلوب أدبي رفيع، إذ احتوت على عناصر فنية تتناسب مع السياق الفكري الخاص، وهي مكثفة بأدوات الفن ولا تكاد تخلو فقرة من عنصر صوري، فالطبقة الأولى صاغها في صورة استعارية وتمثيلية: (المستبصر على سبيل نجاة) (متمسك بالحق) (متعلق بفرع أصيل)، (لا يجد عنه ملجأ)، والطبقة الثانية صاغها في صورة تشبيهية: (فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه)، والطبقة الثالثة صاغها مترسّلة، ووشّحها بعنصر لفظي عوضاً عن العنصر الصوري، وذلك بالتضمين أو الاقتباس القرآني: (استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرد على أهل الحق، ودفع الحق بالباطل، حسداً من عند أنفسهم)، اقتباس من قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ ...﴾ (المجادلة/ ١٩)، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم...﴾ (البقرة/ ١٠٩)، وأخيراً تختتم هذه الخاطرة بعنصر صوري جميل عِبر فنَّي الرمز والاستدلال (فَدَعْ مَنْ ذَهَبَ يميناً

وشمالاً)، (فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها في أهون السعي)، كل هذه العناصر الفنية التي توفر عليها هذا النص كانت خاضعة للسياق الفكري الذي صيغ من أجله[٤٥].

ومنها ما وُجد مكتوباً بخطه ﷺ: ((قد صعدنا ذرى[٤٦] الحقائق بأقدام النبوّة والولاية، ونوّرنا سبع طرائق بأعلام الفتوّة والهداية، فنحن ليوث الوغى[٤٧] وغيوث الندى. وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل. وأسباطنا خلفاء الدين، وخلفاء اليقين، ومصابيح الأُمم، ومفاتيح الكرم. والكليم أُلبس حلّة الاصطفاء لمّا عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة[٤٨] ذاق من حدائقنا الباكورة[٤٩]. وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا رداءً وصوناً، وعلى الظَلَمة إلباً وعوناً ...))[٥٠].

فلغة هذه الخاطرة تحتشد بالصور الفنية متمثلة بالاستعارة والتمثيل والرمز، ومن الصور الاستعارية فيها:

(صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوّة والولاية)، (والكليم أُلبس حلّة الاصطفاء ...)، (صاروا لنا رداءً وصوناً)، ومن الصور التمثيلية: (فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى)، (وأسباطنا خلفاء الدين، وخلفاء اليقين، ومصابيح الأُمم، ومفاتيح الكرم)، (وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية)، ومن الصور الرمزية: (نوّرنا سبع طرائق)، (فينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل)، (ذاق من حدائقنا الباكورة) ... فضلاً عن توشيحها بالعنصر الإيقاعي في توازن العبارات وفي عدد الكلمات وفي الفاصلة، كل ذلك أسهم في صياغة فنية جميلة، تنساب منها المعاني بعذوبة وإتقان.

والأمر نفسه في الخاطرة الآتية التي يقول فيها عليه السلام: ((أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله (عزَّ وجلَّ) ربّ الأرباب، والنبي وساقي الكوثر في مواطن الحساب ولظى، والطامّة الكبرى، ونعيم يوم المآب، فنحن السنام الأعظم، وفينا النبوّة والإمامة والكرم، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى، والأنبياء كانوا يغترفون من أنوارنا ويقتفون آثارنا، وسيظهر الله مهديّنا على الخلق والسيف المسلول لإظهار الحقّ))[٥١]. فنجد العنصر الإيقاعي حاضراً إلى جنب الصور الرمزية: (ساقي الكوثر، ولظى، والطامّة الكبرى)، والتمثيلية: (فنحن السنام الأعظم، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى)، والاستعارية: (والأنبياء كانوا يغترفون من أنوارنا ويقتفون آثارنا)، فضلاً عن التضمين القرآني في بعض الألفاظ، مثل: (محكمات الكتاب، ولظى، والطامة الكبرى، ويوم المآب، والعروة الوثقى)، وهي بمجموعها تنمّ على صياغة لغوية محكمة وتعبير فني رائع، يجسّد القيمة الأدبية والمضمون الهادف الذي طبع تعبير المعصومين عليهم السلام.

ثالثاً- الحديث الفني:

الحديث الفني مصطلح أدبي لم يكن معروفاً في كتب الأدب والبلاغة والنقد القديمة، إلى أن ظهرت دراسات البستاني – رحمه الله – البلاغية والأدبية والنقدية، وفي ضوء رؤيته التجديدية وضع تعريفاً لهذا المصطلح، مستضيئاً بالتراث الإسلامي الذي حفل بنصوص كثيرة من الأحاديث وقصار الكلمات، فعرّفه بأنه ((شكل أدبي يتسم (من حيث المظهر الخارجي) بالقصر بحيث لا يتجاوز الكلمات المعدودة ... ومن حيث الموضوع هو: توصية أو تقرير لحقيقة من حقائق الحياة المختلفة، تُكتب

بلغة فنية تعتمد عنصري (الإيقاع والصورة) بصفتهما أبرز العناصر التي تفرز التعبير العادي والعلمي عن التعبير الفني))[٥٢]. فهو كلام يتصف بالإيجاز، والإيجاز كما يعرِّفه البلاغيون: هو الكلام الذي يعتمد على المعنى الكثير بلفظ قليل لتأدية غرض بلاغي، ويعد هذا الأسلوب من أهم خصائص اللغة العربية قديماً[٥٣].

إن صياغة هذه النصوص الموجزة البليغة لدى الإمام العسكري عليه السلام ((تجري مجرى مواعظ آبائه في جزالة ألفاظها ومتانة أُسلوبها وعمق محتواها))[٥٤]، فهي امتداد لأدب المعصومين عليهم السلام، وهي تمثّل غالبية النتاج الأدبي المأثور عنه عليه السلام؛ والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة هذا الجنس الأدبي، إذ يتسم بقابليته لإيصال المعاني بأقل عدد من الكلمات، وهذه هي صفة الكلام البليغ، وصياغة هذه النصوص الأدبية المختصرة جاءت متناسبة مع الظروف السياسية والاجتماعية التي فُرضت على الإمام العسكري عليه السلام ولم تتح له فرصة اللقاء بأتباعه والتحدث إليهم بالحرية المطلقة التي يطول فيها المقام، فالكلام الموجز هو سبيله الأنسب في التواصل مع أصحابه ومحبيه، وعلى الرغم من صعوبة تلك الظروف إلا أن صياغة هذه الأحاديث لم تقل في مستواها الفني عن أدبي الرسائل والخواطر، بل صيغت بأروع الصور الفنية[٥٥]. ومن أمثلة ما روي عنه عليه السلام من أحاديث فنية نسردها بحسب الصور التي تضمنتها، فمن صور التشبيه ما ورد في جوابه عليه السلام عن سؤال أحد أصحابه: لِمَ سمّيت فاطمة، بالزهراء؟ فقال: ((كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند الغروب، غروب الشمس كالكوكب الدرّي))[٥٦]. وهو وصف تشبيهي دقيق مقتبس من القرآن الكريم: (الشمس الضاحية)، و(القمر المنير)، و(الكوكب الدري)، وظّفها الإمام عليه السلام في حديثه لبيان خصيصة من خصائص السيدة الزهراء عليها السلام.

وقوله عليه السلام: ((بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها))[٥٧]، فبيّن عظمة البسملة وفائدتها وقربها من اسم الله الأعظم عبر أسلوب التشبيه باسم التفضيل (أقرب) مستعيناً بمثال مألوف لدى الجميع (أقرب من سواد العين إلى بياضها).

ومن أمثلة الاستعارة قوله عليه السلام:

((من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة))[٥٨]. فجعل للباطل ظهراً يُركب، وللندامة داراً.

((إنكم في آجالٍ منقوصة وأيامٍ معدودة والموت يأتي بغتة، مَنْ يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامةً، لكل زارع ما زرع))[٥٩]. استعار الزراعة للعمل في الدنيا والحصاد للجزاء في الآخرة، ثم قابلَ بين الصورتين: زراعة الخير وزراعة الشر من جانب، وحصاد كل منهما من جانب آخر.

ومن أمثلة التمثيل قوله عليه السلام:

((الغضب = مفتاح كل شر))[٦٠]. ((أقل الناس راحة = الحقود))[٦١].

((حسن الصورة = جمال الظاهر، وحسن العقل = جمال الباطن))[٦٢].

((التواضع = نعمة لا يحسد عليها))[٦٣].

((الجهل = خصم، والحلم = حكم، ولم يعرف راحة القلب من لم يجرّعه الحلم غصص الصبر والغيظ))[٦٤]. ((إنّ الوصول إلى الله عزّ وجلّ = سفر لا يُدرك إلاّ بامتطاء الليل))[٦٥]. وفي هذا الحديث اجتمع التمثيل مع الاستعارة، في قوله عليه السلام: (لا يُدرك إلاّ بامتطاء الليل)، استعار الامتطاء وهو من صفات الدابة لقيام الليل.

ومن الصور الفرضية قوله عليه السلام:

((لو جعلت الدنيا كلّها لقمة واحدة لقّمتها من يعبد الله خالصاً، لرأيت أنّي مقصّر في حقّه. ولو منعت الكافر منها حتّى يموت جوعاً وعطشاً، ثمّ أذقته شربة من الماء لرأيت أنّي قد أسرفت))[٦٦].

ومن أسلوب المقابلة قوله عليه السلام:

((خير إخوانك من نسي ذنبك، وذكر إحسانك إليه))[٦٧].

((ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلا ذلَّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلا عزَّ))[٦٨].

((لا يعرف النعمة إلا الشاكر، ولا يشكر النعمة إلا العارف))[٦٩].

((خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت الحياة، وشرّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت))[٧٠].

((من وعظ أخاه سراً فقد زانه. ومن وعظه علانية فقد شانه))[٧١].

((قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه))[٧٢].

وقوله عليه السلام: ((إذا نشطت القلوب فأودعوها، وإذا نفرت فودّعوها))[٧٣]، مقابلة بين حالتي إقبال القلوب وإدبارها، فضلاً عن التفنن في صيغة الفعل (ودع)، فحينما تعدى بالهمزة دلّ على معنى مغاير لمعناه وهو متعدٍ بتضعيف العين، فـ (أودع) من الإيداع بمعنى الادّخار، و(ودّع) من الوداع بمعنى الافتراق.

ومن فن التقسيم قوله عليه السلام:

((خصلتان ليس فوقهما شيء: الايمان بالله، ونفع الإخوان))[٧٤].

((علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[٧٥].

رابعاً- أدب الدعاء:

ومن بين الأشكال الأدبية الواردة في تراث الإمام العسكري عليه السلام أدب الدعاء، وهو: ((شكل أدبي يقوم من حيث المظهر الخارجي على (المحاورة الانفرادية) وهي التوجه بكلام مسموع إلى الله تعالى (وأحياناً بكلام صامت). ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر (وجداني) يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه))[٧٦].

وقد أُثر عنه عليه السلام نصوص متعددة من الأدعية حفلت بالصور البلاغية والإيقاعية واللفظية، نذكر منها أنموذجاً من دعائه في الصباح: ((يا كبير كل كبير، يا من لا شريك له ولا وزير، يا خالق الشمس والقمر المنير، يا عصمة الخائف المستجير، يا مطلق المكبل الأسير، يا رازق الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير، يا راحم الشيخ الكبير، يا نور النور، يا مدبر الأمور، يا باعث من في القبور، يا شافي الصدور، يا جاعل الظل والحرور، يا عالماً بذات الصدور، يا منزل الكتاب والنور، والفرقان العظيم والزبور، يامن تسبح له الملائكة بالإبكار والظهور، يا دائم الثبات، يا مخرج النبات بالغدو والآصال، يا محيي الأموات، يا منشئ العظام الدارسات، يا سامع الصوت يا

سابق الفوت، يا كاسي العظام البالية بعد الموت، يامن لا يشغله شغل عن شغل، يامن لا يتغير من حال إلى حال، يامن لا يحتاج إلى تجشم حركة ولا انتقال ...))[٧٧].

أول ما يلفت النظر في هذا المقطع من الدعاء أن صياغته قائمة على المناداة والمناجاة بحرف النداء (يا)، ففي كل مقطع يبتدئ بهذا الحرف، وهو أمر مألوف في أغلب الأدعية الواردة في التراث الإسلامي، كما يُلاحظ أن أغلب عباراته بُنيت على أسلوب الإضافة، كما في (خالق الشمس، عصمة الخائف، مطلق المكبل ... إلخ)، أما من الناحية الجمالية فإن العناصر الفنية حاضرة في هذا النص، كالعنصر اللفظي المتمثل بالعبارة الموزونة والمتنوعة: (يا جابر العظم الكسير، يا راحم الشيخ الكبير) (يا نور النور، يا مدبر الأمور)، (يا سامع الصوت، يا سابق الفوت)، والعنصر الإيقاعي المتمثل بالفاصلة المتنوعة، كالراء المسبوقة بالياء: (كبير، وزير، المنير، المستجير، الأسير، الصغير، الكسير، الكبير)، والراء المسبوقة بالواو: (النور، الأمور، القبور، الصدور، الحرور، الزبور، الظهور)، وقافية التاء المسبوقة بالألف: (الثبات، النبات، الأموات، الدارسات)، أو التاء المسبوقة بالواو الساكنة: (الصوت، الفوت، الموت) ... إلخ.

فضلاً عن الصور الفنية المتمثلة بالكناية والرمز والتمثيل، نحو: (يا جابر العظم الكسير) كناية عن شفائه المرضى، (يا مدبر الأمور) رمز للقدرة الإلهية والسلطة المطلقة على الكون، (يا باعث من في القبور) كناية عن يوم القيامة، (يا مطلق المكبل الأسير) تمثيل ... فضلاً عن الاقتباس والتضمين في مثل قوله: (يا

عالماً بذات الصدور، يا منزل الكتاب والنور، والفرقان العظيم والزبور... يا كاسي العظام البالية بعد الموت)، إذ وردت هذه المعاني في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر/ ١٩)، ﴿... قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة/ ١٥)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان/ ١)، ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس/ ٧٨-٧٩).

بعد هذه القراءة المتواضعة لكلام أحد أئمة الهدى وأعلام التقى يمكن أن ندوّن أهم النقاط التي تشكّل محاور البحث ونتائجه، فالإمام الحسن العسكري عليه السلام مثل غيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام زخر تراثه بتعاليم الدين والأخلاق والوعظ والإرشاد وغيرها من موارد المعرفة الإنسانية وقد جاء قسم من تعبيره بلغة الفن الأدبي الذي يحفل بالصور وتركيب الألفاظ والإيقاع، لينسجم مع الواقع الاجتماعي للعصر العباسي الذي تزامن مع شطر منه، فهو من الأدب الهادف الذي يبتغي نشر تعاليم الإسلام وصلاح الأمة وتوعيتها نحو منهج الدين القويم الذي اختطه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمل على تثبيته وإدامته الأئمة المعصومون عليهم السلام من بعده. ولم تكن المصطلحات النقدية واضحة المعالم آنذاك، لذا فإن صياغة النصوص لدى المعصوم بعيدة كل البعد عن التصنّع؛ وإنما هي تخضع للغته وأثر القرآن الكريم من جانب، وللظروف والأحوال التي يتعرّض لها في حياته بوصفه الخليفة الشرعي للأمة والمسؤول عن تفاصيل حياتهم الدينية والعلمية والاجتماعية من جانب آخر، وهو ما لاحظناه في النصوص الروائية التي وصلت إلينا من تراث الإمام العسكري عليه السلام، وصنّفها المرحوم الدكتور محمود البستاني عبر رؤيته التجديدية في أشكال أدبية، كالرسائل وأدب الخاطرة والحديث الفني وأدب الدعاء.

الهوامش

١-ينظر: لسان العرب، ابن منظور: (صوغ) ٨/ ٤٤٢.

٢-تاج العروس، الزبيدي: (صبغ) ١٢/ ٣٩.

٣-مختصر المعاني، التفتازاني: ٣١٥.

٤-تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف: ٤/ ٥٥٣.

٥-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) للدراسات الإسلامية: ٢/ ١٥١.

٦-الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد: ١٥٤.

٧-ينظر: المصدر نفسه: ١٥٢، ومختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٢٣٨. وموسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، الحاج حسين الشاكري: ١٤/ ٣٠٥-٣٠٧.

٨-من حديث الشعر والنثر، طه حسين: ٥٦-٥٧.

٩-ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٤/ ٥٧٤-٦٤٠، وتاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٥٨٥.

١٠-ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٤/ ٢٥٥-٤٨٥، و تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٥٧١.

١١-ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي: ٢٠٠.

١٢-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني: ٢٩٥.

١٣-بحار الأنوار، المجلسي: ٣٦/ ٣١٢-٣١٣.

١٤-ينظر: سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، مؤسسة البلاغ: ٦٠٣، و ٦١٩.

١٥-تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٥٥٧.

١٦-ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، هاشم معروف الحسني: ٤٦٦-٤٧٣.

١٧-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٥١.

١٨-مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٣٩.

١٩-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٥١.

٢٠-ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٠-٣٧١.

٢١-ينظر: الإمام الحسن العسكري سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي: ٣١-٣٢.

٢٢-ينظر: الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني: ٢٧٦-٢٧٧.

٢٣-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٦١.

٢٤-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: ٣/ ٤٤٧.

٢٥-المصدر نفسه: ٣/ ٤٤٧.

٢٦-سورة الشورى: الآية ١١.

٢٧-المصدر نفسه: ٣/ ٢٥١.

٢٨-ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي: ١٥٢.

٢٩-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٣٠٨.

٣٠-الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، نقلاً عن: فن الرسائل في العصر المملوكي، (رسالة ماجستير)، رشا فخري النحال، الجامعة الإسلامية – غزة/ كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٤/ ٢.

٣١-ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٥٥٨.

٣٢-ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي: ١٥٢-١٥٣.

٣٣-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٦٢.

٣٤-تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني: ٤٨٤-٤٨٦.

٣٥-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٦٣-٣٦٤.

٣٦-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: ٢/ ٢٠٨.

٣٧-ينظر: لسان العرب: (سنم) ١٢/ ٣٠٦.

٣٨-ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب: ٩٣-٩٤.

٣٩-المصدر نفسه: ٩٣.

٤٠-ينظر: المصدر نفسه: ٩٤.

٤١-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٩٥.

٤٢-ينظر: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٩٥-٢٩٦.

٤٣-الأدب وفنونه، دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل: ١٦٨.

٤٤-بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٩٦-٢٩٧.

٤٥-ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٦٥-٣٦٦، ومختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٤٤.

٤٦-(ذرى) من الذروة «بالكسر والضم»، والذروة من كل شيء: أعلاه، ومنه ذُرى الآكام، بالضم، فإنها جمع ذروة يعني أعاليها. ينظر: مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي: (ذرا) ١/ ١٥٨.

٤٧-الوغى: أصله الصوت، والوغى الأصوات في الحرب، ثم انتقلت دلالته للحرب نفسها. ينظر: لسان العرب: (وغي) ١٥/ ٣٩٧.

٤٨-الصاقورة: ((اسم السماء الثالثة)). المصدر نفسه: (صقر) ٤/ ٤٦٧.

٤٩-الباكورة: ((أول الفاكهة ... وابْتَكَرَ الرجلُ: أَكل باكُورَةَ الفاكهة)). المصدر نفسه: (بكر) ٤/ ٧٧.

٥٠-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: ٣/ ٤٦٢.

٥١-المصدر نفسه: ٣/ ٤٦٣.

٥٢-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٩٠.

٥٣-ينظر: أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني: ٤٣٢- ٤٣٣.

٥٤-الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ: ١٧٤.

٥٥- ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: ٣٦٨.

٥٦-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٢/ ٢٦٤.

٥٧-تحف العقول: ٤٨٧.

٥٨-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٢٧٣.

٥٩-تحف العقول: ٤٨٩.

٦٠-المصدر نفسه: ٤٨٨.

٦١-المصدر نفسه: ٤٨٨.

٦٢-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام :٣/ ٣١٧.

٦٣-تحف العقول: ٤٨٩.

٦٤-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٣١٨.

٦٥-المصدر نفسه: ٣/ ٢٨٨.

٦٦-المصدر نفسه: ٣/ ٢٨٩.

٦٧-المصدر نفسه: ٣/ ٢٩٠.

٦٨-تحف العقول: ٤٨٩.

٦٩-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٢٨٦.

٧٠-المصدر نفسه: ٣/ ٣١٥.

٧١-تحف العقول: ٤٨٩.

٧٢-المصدر نفسه: ٤٨٩.

٧٣-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٢٨٢.

٧٤-تحف العقول: ٤٨٩.

٧٥-موسوعة الإمام العسكري عليه السلام : ٣/ ٣١١.

٧٦-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٨٨.

٧٧-بحار الأنوار: ٨٣/ ١٧٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية، مطبعة محمد، قم، ط/ ١، ١٤٢٤هـ.

٢. الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، كلية الآداب/ جامعة الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩.

٣. الأدب وفنونه دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/ ٩، ٢٠٠٤.

٤. أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط/ ١، ١٤٢٨هـ.

٥. الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي، سلسلة المعارف الإسلامية، مركز الرسالة، (د.ت).

٦. الإمام العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

٧. بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ط/ ٢، ١٤٠٣هـ.

٨. تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ.

٩. تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، ط/ ١، (د.ت).

١٠. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط/ ٢، (د.ت).

١١. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، ط/ ٢، ١٤٠٤هـ.

١٢. سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، هاشم معروف الحسني، المكتبة الحيدرية، ط/ ١، ١٤٢٤هـ.

١٣. سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، مؤسسة البلاغ، دار التوحيد، ط/ ٣، ١٤٢٤هـ.

١٤. فن الرسائل في العصر المملوكي، (رسالة ماجستير)، رشا فخري النحال، الجامعة الإسلامية – غزة/ كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٤.

١٥. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، ط/ ١، ١٤١٤هـ.

١٦. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط/ ١، ١٤٠٥ هـ.

١٧. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: مرتضوي، طهران، ط/ ٢، (د.ت).

١٨. مختصر المعاني، التفتازاني، دار الفكر، قم، ط/ ١، ١٤١١هـ.

١٩. مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الأستانة الرضوية، ط/ ١، ١٣٨١ ش.

٢٠. من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف بمصر، (د.ط)، (د.ت).

٢١. موسوعة الإمام العسكري عليه السلام ، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) للدراسات الإسلامية، تحقيق: السيد محمد الحسيني القزويني، والسيد محمد الموسوي، والشيخ عبد الله الصالحي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، السيد أبو الفضل الطباطبائي، مطبعة شريعت، مؤسسة ولي العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) للدراسات الإسلامية، إيران - قم ، ط/ ١، ١٤٢٦هـ.

٢٢. موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام ، الحاج حسين الشاكري، مطبعة ستارة، نشر الهادي، قم - إيران، ط/ ١، ١٤١٧هـ.

٢٣. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/ ٦، ١٩٩٠.